

## أردوغان.. رجل تركيا المريض

### الرئيس التركي أشعل الحرائق في سوريا فعجز عن إطفائها

تكشف مستجدات الأزمة السورية -خاصة فيما يتعلق بقضية اللاجئين السوريين في تركيا الذين يتعرضون في الآونة الأخيرة لحملات قمع ودعوات إلى ترحيل قسري استجابت لها الحكومة التركية- عن فشل السياسة الخارجية للرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وعجز النظام التركي عن إدارة أي جانب من جوانب الأزمة السورية، ومن شأن الأخطاء التي ترتكبها الحكومة التركية على الأرض السورية أن تقاوم أزمة اللاجئين في تركيا وتصل بها إلى مستويات لا يمكن الخروج منها، ما يعرض الرئيس المزيد من الانتقاد ويهدد بالمزيد من تاكل شعبيته.

علي قاسم  
كاتب سوري



قبل عامين انتقد الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، ما يذكر في كتب التاريخ عن خيانة العرب للعثمانيين، في الحرب العالمية الأولى، واصفا هذا الادعاء بأنه "كذبة تاريخية تُرست في المدارس التركية بشكل مقصود".

يشير أردوغان، بشكل غير مباشر، إلى التغييرات الجزئية التي أحدثها مصطفى كمال أتاتورك، مدشنا ما بات يعرف بالجمهورية التركية الحديثة، عملا على قطع صلة الأتراك بالعرب وباللغة العربية قطعاً مُبرِّهاً، ومروجا لفكرة "أن العرب غدروا بالأتراك وطعنوهم من الخلف، بتحالفهم مع أعدائهم (تحالف العرب مع أعداء الأتراك)".

يحار المرء في تفسير التناقض الذي يبديه أردوغان، فهو يتصرف أحيانا وفق الرأي القائل "إن الدين كان عاملا مهماً في قوة الدولة العثمانية واستمرارها"، مؤكداً أنه سوف يظل كذلك. وفي الوقت نفسه يؤكد أن "لا صديق حميماً للتركي إلا التركي".

هناك من بين العرب من وقف ضد الأتراك، في فترة انهيار رجل أوروبا المريض، لا يمكن إنكار ذلك، لكن من الخطأ أيضاً اعتبار هذا الموقف يمثل جميع العرب في ذلك الوقت.

من خلال دولة الخلافة ليس العرب المسلمين، بل أتاتورك، بإعلانه القطيعة الكاملة مع العرب.

لا يمكن تفسير سلوك أردوغان إلا من منظور علم النفس، والإقرار بأنه يعاني انقساماً في الشخصية، فهو يعتقد أن بإمكانه فعل المستحيل، والجمع بين الإسلام السياسي والنظام العلماني.. يحلم بإعادة دولة الخلافة، وفي الوقت نفسه يطمح لأن يكون جزءاً من الاتحاد الأوروبي.

وصل حزب العدالة والتنمية إلى الحكم سنة 2002، متعهداً باتباع سياسة مؤيدة للاتحاد الأوروبي والحكم الليبرالي، ومنقداً الأيديولوجيا الكمالية، بوصفها حاجزاً أمام الديمقراطية الليبرالية. اليوم، وبعد 17 سنة، من يمكنه أن يصدق ذلك، هناك بالطبع من حذر حينها من أن ادعاءات أردوغان المؤيدة للغرب والليبرالية كانت "مزيفة"، مجرد جلد أفعى سيأتي وقت ينسلخ فيه من هذا الجلد، ليُظهر انتمائه الحقيقي إلى الإسلام السياسي، الذي سيدفعه إلى البحث عن تحالفات بعيداً عن أوروبا، وقرباً من حزم الخلافة الذي توهمه.

وبعد أقل من عقدين على انتقاده لأفكاره الإصلاحية المؤيدة للغرب، ها هو اليوم يعتنق الأوراسية كسياسة أساسية لمناهضة الغرب.

عام 2013 طلب أردوغان من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مقعداً له في منظمة شنغهاي للتعاون، وهي نسخة أوراسية عن الناتو تضم روسيا والصين وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وكازاخستان، لتصبح تركيا أول دولة أطلسية كـ"شريك حواري" في المنظمة.. وفهم حلفاء تركيا في الغرب الرسالة وأصبح واضحاً لهم الطريق الذي اختاره أردوغان لتركيا.

ونجح أردوغان في ترويج الولايات المتحدة بوصفها عدواً لتركيا، وبيات سبعة من كل عشرة أتراك يعتقدون أن الولايات المتحدة تشكل تهديداً لهم وخطراً على أمن بلادهم. ولم تنجز تركيا سوى واحد من 31 فصلاً، مطلوباً منها إنجازه، للانضمام إلى أوروبا، منذ أن أعطي لها الحق في بدء المفاوضات سنة

2005. استطاع أردوغان أن يخدع الغرب، أوروبا بالتحديد، وظن الجميع أن رغبته في الانضمام إلى القارة العجوز رغبة صادقة. وأعجب الجميع بتركيا، التي يمكن للسائح فيها أن يشرب الجعة على أرصفة إسطنبول، خلال شهر رمضان علناً، بينما يجلس على مقربة منه مؤمنون أتراك ينتظرون أذان المغرب، للإفطار على حبات تمر وارتشاف طبق حساء ساخن.

لكن لكل شيء نهاية، وللخدعة نهايتها أيضاً، واختار أردوغان سوريا لتكون مسرحاً لمغامرته التي انقلبت عليه، وقد تشهد وضع نهاية لحياته السياسية، بل قد تشهد أيضاً نهاية "العدالة والتنمية".

ورط أردوغان تركيا، وورط معها الغرب وجيران سوريا، الاقارب منهم والأبعد، في حرب سيؤرخ لها على أنها أحد أكثر النزاعات شراسة وتدميراً في التاريخ الحديث، وأكثرها أيضاً كلفة على الصعيد الإنساني.

أكثر من ستين بالمائة من سكان سوريا نزحوا منذ بداية اشتعال الصراع، وهي نسبة نزوح لم تشهدا دولة من قبل خلال العقود الأخيرة، بحسب مركز بيو للأبحاث.

وتهدد الإلغام والمواد المتفجرة المنتشرة في أجزاء كبيرة من البلاد بتشويه ضحايا جدد وبقتل المزيد من الأبرياء.

ومع ذلك، ورغم الكلفة الباهظة جداً، لم تكن سوريا سهلة الهضم على أردوغان، ليجد نفسه بعد أن أشعل الحرائق عاجزاً عن إطفائها، ولئن نجح في النجاة بنفسه على الصعيد الخارجي فقد فشل فشلاً ذريعاً على الصعيد الداخلي. الاقتصاد هو الجبهة التي خذلت أردوغان، وهددت ألامه بإجلاء الخلافة، فاستدار إلى اللاجئين السوريين في تركيا يهدد بترحيلهم إلى ديارهم، وانتقد أعضاء برلمان، من أحزاب المعارضة التركية، قرار أردوغان ترحيل اللاجئين وحملوه مسؤولية تهجيرهم من تركيا، بسبب سياساته الداعمة للتنظيمات الإرهابية.

وخرج رئيس الوزراء السابق، أحمد داود أوغلو، عن صمته بمقال من 4000 كلمة انتقد فيه الاتجاه الذي سلكه حزب العدالة والتنمية، محذراً أردوغان من أن انصراف الحزب عن مبادئه الأساسية يثير غضباً عارماً في صفوف القاعدة الشعبية ومستوياتها العليا، وكان من نتائجه فقدان الحزب السيطرة على إسطنبول، أكبر مدينة في تركيا، وكان على باباجان، وزير الاقتصاد السابق، قد استقال من الحزب معتبراً أن تركيا



ولي زمن أردوغان

## باريس تخرج عن صمتها بالتصدي لأنشطة تركيا الدينية

جبل متدين، قامت أنقرة باستحداث ثلاثة دروس اختيارية في الدين في المدارس الابتدائية تتعلق بحياة النبي محمد وبقراءة القرآن وبالمعرفة الدينية الأساسية. فيما قام نظام أردوغان بتدريجياً باستبدال هيمنة المدارس الثانوية العامة "الكلاسيكية" بمدارس ثانوية تهدف إلى تدريب الأئمة والخطباء الإسلاميين، حيث يتم تسجيل الطلاب الذين فشلوا في امتحانات القبول في المدارس الثانوية العامة تلقائياً في هذه المؤسسات الدينية. وتسببت الية اعتماد نتائج نظام المرور من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الإعدادية، في فتح الباب واسعاً أمام إرسال الطلاب الذين لم يجتصوا إلى مدارس الأئمة والخطباء.

### مراقبة المدارس الدينية

في ظل المخاوف من الإسلام السياسي التي تروج لها تركيا، وقعت 2010 بخصوص وضع الموظفين الدينيين الأتراك في فرنسا، والذي تم بموجبه رفع عدد الموظفين من 121 إلى 151 موظفاً. ويمتدحون بمعرفة كافية باللغة والثقافة الفرنسيين، نصح الإعلان على أهمية تأهيل المواطنين الفرنسيين من أصول تركية في كليات الشريعة بتركيا، وبموجب الفقرة المذكورة من الإعلان، يجري تخفيض عدد الموظفين الدينيين الأتراك في فرنسا تدريجياً اعتباراً من موسم 2014-2015، لتتم الاستعاضة عنهم برجال الدين الفرنسيين من أصول تركية. ويمقتضى قانون العلمانية في فرنسا، يحظر على الحكومة تقديم الدعم المالي للهيئات والمؤسسات الدينية، في حين يسمح للإدارات المحلية بتقديم التسهيلات عند منح الأراضي بغرض إنشاء أماكن العبادة، إلى جانب عدد من الخدمات الأخرى.

وتعتبر فرنسا الدولة الأوروبية الأولى من حيث عدد المسلمين على أراضيها، إذ يتجاوز تعدادهم 6 ملايين شخص غالبية من دول شمال أفريقيا.



قلق فرنسي من استغلال الدين في عمليات إرهابية جديدة

القانوني لتعليم الأطفال الأتراك في هذه المؤسسات. وكلف أردوغان وفداً تركياً بزيارة فرنسا للاطلاع على تجربة المدارس الدولية فيها، وبحسب شخص مقرب من الملف لم تسمه "لوبوان"، فإن الفرنسيين "يتعرضون لضغوط في إسطنبول وأنقرة من قبل سلطة أردوغان وذلك في ظل صمت وزارة الخارجية الفرنسية".

وعلى إثر ذلك هاجم وزير التعليم الفرنسي جان ميشيل بلانكر مشروع إنشاء مدارس ثانوية تركية في بلاده، مستنكراً محاولات السلطات التركية توسيع نفوذها خارج حدود بلادها.

وحينها قال بلانكر في تصريحات لفضائية "بي.إف.أم.تي.في" الفرنسية، إنه يرفض المشروع التركي الهادف إلى إنشاء مدارس تركية في فرنسا، مُضيفاً "لدينا الكثير من بوادر سوء النية القادمة من تركيا، وهناك قلق كبير بشأن ما تفعله السلطات التركية مع الجاليات التركية في فرنسا".

ومن المعروف أن أحمد حمدي جاملي عضو لجنة التربية الوطنية وحزب العدالة والتنمية، علق على مفهوم الجهاد الذي أضيف إلى المنهج الدراسي التركي، قائلاً "لا فائدة من تدريس الرياضيات لطفل لا يعرف الجهاد". وكانت الحكومة التركية طرحت في يوليو 2017، منهاجاً دراسياً جديداً يُقدّم مفهوم "الجهاد". وقال حينها وزير التعليم التركي عصمت يلماز إن "الجهاد موجود في ديننا ومن واجب وزارة التعليم ضمان أن يتم تدريس هذا المفهوم بطريقة صحيحة ومناسبة".

استندرك يلماز قائلاً إن الأمر لا يتعلق بـ"الحرب المقدسة" بل بما أسماه "الجهاد الجيد" الذي يزيد من "حبّ الوطن". ويتميز هذا البرنامج أيضاً بحذف نظرية التطور لتشارلز داروين واستبدال جزء كبير من البرنامج الذي كان مخصصاً لمؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك وتحويله إلى الحديث عن محاولة الانقلاب الفاشلة

في 15 يوليو 2016. يُذكر أنه في صيف عام 2012، وبعد إعلان الرئيس التركي رغبته في "تدريب

باريس - على الرغم من نفي المتحدث باسم وزارة الخارجية التركية حامي أقصوي مؤخراً افتتاح مدارس دينية مدعومة من قبل سفارة بلاده في فرنسا - وذلك في أعقاب رفض فرنسي واضح وهجوم شديد من قبل وزير التعليم الفرنسي - إلا أن حزب العدالة والتنمية الإسلامي الحاكم في تركيا الذي قام بتحويل النظام التعليمي في البلاد من نظام علماني مُفتوح ومُتسامح إلى منهج ديني مُتشدد، ما زال يصر على تعميم تجربة مدارس الأئمة والخطباء التركية في فرنسا والمانيا وسائر دول الاتحاد الأوروبي، حسب ما أفاد به تقرير موقع أحوال تركية.

وطالبت الصحافة الفرنسية والسلطات الرسمية في باريس بنشر معلومات دقيقة وصارفة حول حقيقة هذه المسألة، والتصدي لاستمرار المحاولات التركية عبر نشر التعليم الديني من خلال المساجد التابعة لحزب العدالة.

وسبق أن حذر مركز الأبحاث الليبرالي "مونتاني" في باريس في تقرير رفعه إلى الرئيس إيمانويل ماكرون، من "صانع إنتاج الإسلامة" التركية.

وكانت فرنسا أعلنت مراراً أنها لا ترغب في توظيف أئمة مساجد من تركيا، وقررت خصوصاً تخفيض عدد الأئمة القادمين إليها من تركيا بعدد 5 سنويًا، نظراً إلى ما يقومون به من نشر للفكر المتطرف من بوابة التعليم الديني.

وبالتزامن مع المساعي الألمانية المتزايدة على المستويين الرسمي والشعبي للحد من تغلغل مفاهيم الإسلام السياسي القادمة من تركيا في المجتمع الألماني، وعد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في أبريل الماضي بالآ يكون هناك أي "تعاون" في مواجهة أولئك الذين يريدون فرض "إسلام سياسي يسعني إلى الانفصال" عن المجتمع الفرنسي، في تصريحات قوية فسرها مراقبون بأنها موجهة للإسلام السياسي التركي بشكل خاص.

### توظيف الدين

تتزايد المخاوف الألمانية، بسبب تبعية معظم الأئمة والمؤسسات الدينية في ألمانيا للاتحاد الإسلامي التركي (ديتوب) اليد الطولى للرئيس التركي رجب طيب أردوغان ومخبراته في ألمانيا. ويُعول حزب العدالة والتنمية الإسلامي التركي ورئيسه أردوغان على المسلمين وبث خطاب سياسي إسلامي مُتشدد، وذلك بحجة تقديم التعليم الديني للمراقبين.

وكانت مجلة "لوبوان" الفرنسية كشفت في مايو الماضي أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يعزّم افتتاح مدارس تركية في فرنسا، وذلك بعد أن زار مسؤولون أتراك المدارس الثانوية الفرنسية في تركيا خلال شهر أبريل 2019 بقصد "الاعتراض على الأساس

بحاجة إلى "رؤية مستقبلية جديدة". بالطبع، لم يجد أردوغان كلمة أفضل من كلمة "مؤامرة" يحتمي بها، مرجعاً انهيار اقتصاد بلاده وعملتها إلى "مؤامرة خارجية"، وهو خطاب داب على استخدامه كلما تعرض لانتكاسة، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية.

وقال أردوغان، خلال اجتماع مع أعضاء في حزب العدالة والتنمية في أنقرة، إن "المؤامرة الخارجية تسعى إلى زيادة أسعار الفائدة، وشل نمو الاقتصاد التركي".

ولم يجد أردوغان، أمام أتباعه، ضرورة لتفسير المقصود بالمؤامرة، ومن يقف خلفها.

## لكل شيء نهاية، وللخدعة نهايتها أيضاً، واختار أردوغان سوريا لتكون مسرحاً لمغامرته التي انقلبت عليه، وقد تشهد وضع نهاية لحياته السياسية

لقد داب الرئيس التركي على اللجوء إلى نظرية المؤامرة؛ يفعل ذلك كلما تعرضت تركيا واقتصادها إلى انتكاسة، أو تعرض حزبه الحاكم إلى خسائر، وأبرز هذه الخسائر هزيمته في إسطنبول، إذ تحدث عن مؤامرة جرى الإعداد لها لحرمان حزبه من الفوز في انتخابات المدينة، الأمر الذي اتضح لاحقاً أنه غير صحيح، خاصة إثر فوز مرشح المعارضة -أكرم إمام أوغلو- مرة أخرى بالانتخابات.

الحديث عن معجزة اقتصادية رافقت وصول أردوغان وحزبه إلى السلطة، كذبة أخرى.

في 21 فبراير 2001، شهدت تركيا أسوأ أزمة مالية واقتصادية في العصر الحديث، عُرفت باسم "الأربعاء الأسود"، انهارت على إثرها الليرة التركية، لتفقد خلال شهر ما يقرب من نصف قيمتها، وهبطت بورصة إسطنبول هبوطاً حاداً، مما دفع البنك المركزي إلى تعزيز الأسواق المالية بمبالغ كبيرة، وصلت إلى ثلاثة مليارات دولار.

وتدخل صندوق النقد الدولي، مقدماً المزيد من الأموال، حتى عام 2001، لتحقيق الاستقرار في سعر الصرف، وخفض أسعار الفائدة، من خلال العمل على استعادة الثقة، حتى وصل إجمالي التمويل الذي قدمه الصندوق منذ ديسمبر عام 1999 إلى ما يقرب من 30 مليار دولار.

وشرع وزير المالية حينها، كمال درويش، في اعتماد العديد من الإصلاحات التي بدأت على الفور تؤتي أكلها، حيث ارتفع الناتج المحلي بنسبة تقارب 6 بالمائة، وانخفض معدل التضخم من رقمين إلى رقم واحد، وارتفعت ثقة المستثمرين، وانخفضت البطالة تدريجياً، وفتحت تركيا أسواقها، من خلال الحد من القيود الحكومية على التجارة الخارجية والاستثمار، وخصخصة الصناعات المملوكة للقطاع العام، فبدأت هذه الإصلاحات تثمر عن نتائج طيبة، وفي هذه الأجواء بدأت الانتخابات البرلمانية التركية عام 2002، لتبدأ عام 2003 حقبة رجل تركيا المريض أردوغان.